٦
التــوراة واليهـود

للصراع بين العرب وإسرائيل جانب دينى وعنصر اعتقادى ، لا يمكن إغفاله أو التغاضى عنه ، كما لا يجوز تجنبه أو تجاوزه ؛ خاصة وقد صار شديد البروز لدرجة دفعت البعض إلى القول بأن ما بين العرب وإسرائيل هو صراع دينى أكثر منه صراع حضارى ، وأن الصراع الحضارى ليس إلا وجهًا يخفى حقيقة الصراع الدينى .

والتعرض للجانب الدينى والعنصر الاعتقادى فى الصراع بين العرب وإسرائيل ينطوى على محاذير كثيرة ، منها أنه لا يعجب ، بل والغالب أنه لن يرضى ، تيار الأيديولوجية اليهودية (الصهيونية) ولا تيار الأيديولوجية الإسلامية (الإسلام السياسى) ؛ ذلك بأن الأيديولوجية السياسية – أساسًا – تنظر إلى عبارات تبريرية ولا تبحث عن حقائق موضوعية ؛ بمعنى أن هذه الأيديولوجية تستغل مشاعر دينية أو عواطف وطنية لتحقيق أهداف سياسية أو أغراض حزبية ، وهى من ثم لا تخاطب العقل ولا تركن إلى المنطق ولا تتبع الأصول ولا تريد الحقيقة ، لكنها – على العكس من ذلك تمامًا – تستثير العواطف وتهيّج المشاعر ، وتنتهج الأغراض وتنشر الأوهام ، فإذا وُضعت أمامها الحقائق اضطربت وانفعلت ، ولم تقبل هذه الحقائق ، بل انقلبت على من يذكرها ، واشتدّت على من يكتبها . وجدير بالذكر ، تدليلاً على ذلك الأسلوب غير السوىّ ، أن أدولف هتلر زعيم ألمانيا النازية

كان قد أصدر قانونًا يقضي بأن يُعاقب بالسّجن أى مؤرخ يذكر وقائع ضد مصلحة الشعب الألمانى حتى ولو كانت حقيقية أو ثابتة ، وهو ما يفيد أن الزعيم الأيديولوجي منع بالقانون نشر الحقائق التى قد لا تتفق مع أهداف حزبه وأغراض سياسته ، واعتبر أن نشر الحقائق يضاد مصالح الشعب الألمانى مع أنه فى الحقيقة – كان يعارض اتجاهات الحزب النازى ، أى يعرقل حركة الأيديولوجية السياسية التى كانت تهيمن على مقاليد الشعب الألمانى ، وتدفعه بدعاياتها الكاذبة إلى هاوية سحيقة ، كانت الحقائق تنقذه من السقوط فيها ، وتحول دون كوارث لا نهاية لها ؛ وهو أمر ثبت تاريخيًّا ، وينبغى أن يكون مثلاً تُقاس عليه التصرفات الأيديولوجية ، ويُحكم به على وضع الانفعال وعلى نهج الاعتدال .

حيث تستقر المفاهيم السالفة ، يتعين البحث عن الفكر الدينى وراء الصراع بين العرب وإسرائيل . فالإسرائيليون يقولون أن أرض فلسطين هى الأرض الموعودة ، وعدهم الله بها فى التوراة ، بل ويرى البعض أن الأرض الموعودة تقع فيما بين نهر النيل ونهر الفرات . وكانت هذه الفكرة فى تقدير الحركة الصهيونية التى قامت لتنشئ دولة لإسرائيل . فعندما عُرضت عليها أماكن أخرى تقيم فيها هذه الدولة ، أبت وصممت على أن تقام الدولة فى فلسطين ، وتكون عاصمتها القدس (أورشليم) ، لما فى ذلك من معنى عاطفى يجمع الإسرائيليين كلهم حول فكرة الشعب المختار والأرض الموعودة .

متى كان الأمر كذلك ، فمن هم الإسرائيليون ؟ ومن الذى أعطاهم الوعد ؟ وما هو كنه هذا الوعد ؟ وما هو نطاقه ؟ وماذا يكون أثره ؟

الإسرائيليون ، أو بنو إسرائيل ، أصلاً ، هم أبناء يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام ، وهم اثنا عشر ابنًا ليعقوب ، منهم يوسف عليه السلام ، ثم أولادهم الذين كونوا اثنى عشر قبيلة ، تنتسب كل منها إلى واحد من أبناء يعقوب . وقد تغير اسم يعقوب إلى إسرائيل ، أى عبد الله (على الأغلب ، إذ يقال إن المعنى هو « الذى غَلَب إيل » ، وإيل هو إله العبرانيين من كلمة (إل) التى تفيد معنى الألوهية فى اللغات السامية) ، مفاد ذلك أن بنى إسرائيل هم أبناء وأحفاد يعقوب المسمى إسرائيل ، وقد ورد ذكرهم فى القرآن الكريم بلفظ « الأسباط » الذى يعنى لغة : الأحفاد ، ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ سورة النساء ٤ : ١٦٣ ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ سورة البقرة ٢ : ١٣٦ ، ﴿وقطعناهم اثنى عشرة أسباطًا أممًا﴾ سورة الأعراف ٧ : ١٦٠ .

اتجه بنو إسرائيل إلى مصر مع والدهم يعقوب (إسرائيل) حين كان يوسف عليه السلام قد صار ذا شأن فيها ، وعن ذلك تقول التوراة (.. وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم .. وجاءوا إلى مصر) تكوين ٤٦ : ٥ — ٧ ، وفى مصر أقاموا فى أرض جاسان (المنطقة حول بلبيس حالا) فقد جاء فى التوراة (ثم قال يوسف لإخوته .. لكى تسكنوا فى أرض جاسان . لأن كل راعى غنم رجس للمصريين) تكوين ٤٦ : ٣٤ .

حدث ذلك – على الراجح – إبان حكم الهكسوس لمصر ، والهكسوس بدو ورعاة من المناطق الكائنة فى شرق مصر ، كانوا يحتلون مصر

(١٧١٠ - ١٥٦٠ ق . م) ونظرًا للروابط البدوية والرعوية بين الهكسوس وبنى إسرائيل يلوح أنه قد قامت بينهم علاقات تعاون ساءت المصريين ، فلما بدأ عصر التحرير ، استطاع المصريون بقيادة أحموس الأول طرد الهكسوس واستعادة الحكم المصرى ، حيث بدأت الدولة الحديثة (١٥٦٠ - ١١٠٠ ق . م) . ورغم تمكن المصريين من طرد الهكسوس فقد ظلوا فترة يخشون تهديدهم ، ويسترييون فى الإسرائيليين مخافة أن يساعدوهم فى إعادة غزو مصر ، ومن ثم فقد عاملوهم بجفاء وحذر ، فرأى الإسرائيليون فى ذلك إذلالا واستعبادًا لهم ، وتُلمح التوراة إلى هذا المعنى فتقول (ثم قام ملك جديد على مصر .. فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر .. هلم نحتال لهم (أو نحتاط منهم ؟) لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا .. فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف . ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية ..) خروج ١ : ٨ - ١٣ .

فى هذا الوقت ظهر موسى عليه السلام ، وتبنته ابنة فرعون ، كما تقول التوراة (.. ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنًا ودعت اسمه موسى وقالت إنى انتشلته من الماء) خروج ٢ : ١٠ . لفظ موسى لفظ مصرى يعنى ولدًا أو ابنًا ، وكان فى العادة جزءًا من اسم ثنائى هو رع موس أو تحوت موس .. إلى آخر ذلك ، بمعنى رع أو تحوت أعطى ولدا ، أو بمعنى أو ابن رع أو ابن تحوت . وكعادة المصريين فى اختصار الأسماء المزدوجة إلى لفظ واحد (منعم بدلا من عبد المنعم ، حليم بدلا من عبد الحليم .. وهكذا) فقد اختصر اسم موسى إلى موس ، وانتقل اللفظ إلى اللغة العبرية فصار موشى بينما هو فى العربية موسى . وثقافة

موسى عليه السلام ثقافة مصرية بلا شك ، فقد رُبّى ونُشِّئ فى بيت فرعون ،وتعلم كل حكمة المصريين (كما يقول التلمود) ، وصار أميرًا للجيوش التى غزت بلاد بونت (الصومال) .

فرّ موسى من مصر حيث تزوج ابنة كاهن مدين ، وأثناء أن كان يرعى الغنم (ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُلّيقة ، فنظر وإذا العلّيقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق .فقال موسى أميل الآن لأنظر .. لماذا لا تحترق العليقة .فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة ..) ، خروج ٣ : ٢ – ٤ . من هذا النص التوراتى يبين أن الذى ظهر لموسى أولا هو ملاك الرب . ثم فجأة يصبح هذا الملاك هو الرب وهو الله ذاته ، بغير تفسير لكيفية تحول ملاك الرب إلى الرب نفسه . وهذا النص المُشْكل دعا بعض العلماء إلى القول بأنه قد حدث خلط بين ملاك الرب والرب ذاته ، يؤكد ذلك ما جاء فى نص آخر (فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم ، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم .. وكان فى هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب ..) ، خروج ١٤ : ١٩ – ٢٥ . ففى هذا النص ، كسابقه ، تبادل بين ملاك الرب والرب ذاته ؛ وهو خلط يصفّيه القرآن ، كما سوف يلى .

فى التوراة ، أن الرب طلب من موسى أن يذهب إلى فرعون ليطلب منه إخراج بنى إسرائيل من مصر ، لا ليدعوه إلى الإيمان بالله ؛ أى أن رسالة موسى إلى فرعون كانت بقصد الإفراج عن بنى إسرائيل وتحريرهم من العبودية ولم تكن رسالة هداية تدعوه أو تدعوا قومه إلى

oberkandil.com

الإيمان بالله أو عبادته أو اتباع شريعة أخرى (... فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله . فقال الرب إنى رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر .. فنزلتُ لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة ، إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً .. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر) خروج : ٦ - ١٠ (وهذا نص آخر يذكره القرآن بصورة أخرى ، على نحو سوف يلى) غير أن التوراة تؤكد أن هذا الوعد ليس بغير تحفظ ، ودون شروط ، وبلا رجعة ؛ فقد جاء بها (وكما فرح الرب لكم ليُحْسن إليكم ويكثّركم كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتُستأصلون من الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ، ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها) تثنية ٢٨ : ٦٣ .

(هذه هى كلمات العهد الذى أمر الرب موسى أن يقطعه مع بنى إسرائيل ... عهد الرب إلهك وقسمه الذى يقطعه الرب إلهك معك اليوم) تثنية ٢٩ : ١ - ١٢ .

خرج موسى من مصر ببنى إسرائيل ، ومعهم بعض المصريين ، وحدث ما حدث فى صحراء سيناء حتى دخلوا أرض فلسطين بعد موت موسى ، وهناك حكمهم الأحبار (رجال الدين) والقضاة حتى رغبوا فى أن يكون لهم ملكا ، فكان شاول ملكا لهم ، تبعه داوود ثم سليمان (وهما عند اليهود ملكان وليسا نبيين) . وكان عهد سليمان من أزهى عصور الإسرائيليين (حوالى ٩٧٠ - ٩٣١ ق .م) حيث بنى الهيكل المقدس فى مدينة القدس (أورشليم . أور بمعنى القرية ، وشليم بمعنى السلام ، أى مدينة السلام) وانقسم اليهود بعد سليمان إلى أسباط (أمم) الشمال ، فكونوا مملكة إسرائيل ، وأسباط (أمم) الجنوب ، الذين كونوا مملكة أصغر

هى مملكة يهودا ، ودارت الحرب سجالا بين المملكتين (٩٣٥ – ٧٢٥ ق .م) فضعفتا معا ، مما مكن سرجون الملك الآشورى من فتح السامرة ، عاصمة إسرائيل ، والاستيلاء على مملكة يهودا ونفى كثيرًا من اليهود . ثم قام البابليون بعد ذلك بهدم هيكل سليمان (٥٨٦ ق . م) وأسروا اليهود فى بابل ولم يرجعوا إلا سنة ٥١٦ ق .م حيث أعادوا بناء الهيكل ، إلى أن قام الرومان بهدمه وتدمير أورشليم (٧٠م) ، فتشتت اليهود فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها (كما جاء فى النص التوراتى) .

عندما قام الملك الآشورى سرجون بنفى اليهود من يهودا والسامرا تبددوا خارج المملكتين ، وفى هذا النفى والتبدد فُقدت عشر قبائل (أُسباط ، أمم) من قبائل اليهود الاثنى عشر (الأسباط) ، وبقيت قبيلتان . واعتنق اليهودية أفراد وجماعات من غير نسل إسرائيل أو بنى إسرائيل الأصلاء ، وبذلك صارت اليهودية معنى ثقافيًا لمن يعتنقون اليهودية وليست دليلاً على جنس معين أو عنصر بذاته أو شعب صافٍ بلا تخليط ، وإن كان من الضرورى أن تؤدى الثقافة اليهودية إلى خصائص متقاربة ، وإن لم تكن متوحدة ، مع اليهود ثقافة أو اليهود بالشريعة .

فى العصور الوسطى توارت الدولة الوطنية التى كانت قد قامت فى مصر (٣٢٠٠ ق .م) وفى بابل وفارس واليمن ، وحل الفرز الدينى محل الولاء الوطنى ، فساد الإسلام فى منطقة الشرق الأوسط ، وغلبت المسيحية فى أوروبا ، وفى هذا الوضع الكائن عاش اليهود فى مناطق متفرقة فى الشرق الأوسط وأوروبا ، فيما يسمى بالشّتات .

كانت الحضارة الإسلامية ، التى ازدهرت فى القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادية (الثانى والثالث والرابع الهجرية) ، حضارة متسامحة ،

اتسعت لمجوس الفرس وانفسحت لليهود والمسيحيين ، فعاش اليهود فى هذه الحضارة دون اضطهاد ، بل إن بعضهم وصل إلى مراكز عليا ومؤثرة . موسى بن ميمون (١١٣٥ – ١٢٠٤) اليهودى عمل طبيبًا خاصا لصلاح الدين الأيوبى ، وموسى هذا هو الذى تقول عنه الأدبيات اليهودية « من موسى (ابن عمران) إلى موسى (ابن ميمون) لم يظهر إلا موسى (أى هذا الأخير) » . فى أوروبا كان الوضع مختلفًا ،فقد كانت مقسّمة إلى إقطاعيات ، لم يكن فيها مجال لليهود ، ومن ثم فقد اتجهوا إلى التجارة والأعمال المالية كالإقراض والرهن ، وبرعوا فيها وكونوا ثروات طائلة ، أثارت عليهم حقد الحكام وحقد الناس على السواء ، وساعد على ذلك أن للمعاملات المالية قواعد خاصة بها ، تخالف وتنافى ، فى الأغلب الأعم ، كثيرًا من القواعد الاجتماعية التى تواضع الناس عليها وصارت أعرافًا تقليدية .

فى هذا الجو المضطرب سياسيًّا واجتماعيًّا وماليًّا وقع اضطهاد على اليهود فى أماكن مختلفة ، ولأسباب متعددة ، ربما ساعد عليها تصرفات بعض من اليهود ، وخلال هذا الشتات والاضطهاد كان اليهود يرددون كلمات التوراة (كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ، ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها) تثنية ٢٨ : ٦٣ . وكان الحل فى تقديرهم أن يسترضوا الرب باتباع الشريعة ، التى صارت هى التلمود ، أى التعاليم والتفاسير التى يقدمها الأحبار ، أى فقه رجال الدين . ونتيجة لهذا الاستمساك الشديد بالثقافة اليهودية أن عزلتهم هذه الثقافة عن المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها ، وزاد من عزلتهم وجود أماكن خاصة لهم (الجيتو اليهودى) يسكنون فيها لكى يمارسوا شعائرهم ويتبعوا ثقافتهم دون

اضطراب ، وتعلق أمل الجميع برضاء الرب عليهم فينهى شتاتهم ويعيدهم إلى الأرض التى كان آباؤهم يقيمون فيها ، حيث يعيدون بناء الهيكل فى أورشليم القدس . وفى الأعياد ، كما فى كل المناسبات الدينية ، كانوا يحيون بعضهم البعض قائلين (العام القادم فى أورشليم) .

بدأت الأمور تتغير قليلاً عندما نشأت البورجوازية (الطبقة الوسطى) وأقيمت المدن الكبيرة ، واتجه اليهود فى الأعمال المالية وجهة أخرى بدأ بها النظام المصرفى الحديث . كان الشخص الذى يرغب فى السفر من روما إلى باريس مثلا ، يخشى أن يحمل معه نقوده وهى من الذهب ، حتى لا تُسرق منه خلال طرق طويلة غير آمنة ، تعبر بلادًا شتى ، ولا توجد سلطة مُوحدة تسيطر عليها وتحرسها . ونظرًا لتشتت الأسر اليهودية فى أكثر من بلد فقد كان من الأيسر على المسافر أن يسلم أمواله إلى يهودى فى روما ويأخذ منه صكًا إلى قريب له فى باريس ، ليدفع لهذا الشخص قيمة الصك حين يصل إليه ، ويكون لليهودى الذى سدد فى باريس قيمة الصك المحول عليه من روما أن يفعل نفس الشىء فيكتب صكا لشخص من باريس يريد أن يأخذ ماله فى روما ، ومن ثم تحدث المقاصة بين قيمتى الصكين .. وهكذا .

وعندما بدأ النظام المصرفى فى الاستقرار ، واتخاذ شكل عالمى ، صار لليهود فيه أثر كبير انعكس على كثير من الأنشطة الاقتصادية والصناعية ثم صار ذا فاعلية سياسية متعاظمة ، استفاد من الشتات بما جعل النفوذ اليهودى فعالاً ومؤثرًا على مستوى صُنّاع القرار ، من الروسيا (ثم الاتحاد السوفييتى) شرقا حتى الولايات المتحدة غربًا ، وفى كل البلاد بينهما .

عادت الدولة الوطنية إلى الظهور إثر اندلاع الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ،

فكان الفرنسى يخاطب بلفظ « المواطن » تأكيدًا على الارتباط بالوطن واستبعاد الفرز الدينى أو التمييز الطبقى . وإذ انتشرت الدول الوطنية فى أوروبا وفى الشرق الأوسط وفى أمريكا ، فقد بدأ بعض اليهود يتطلعون إلى إنشاء دولة لهم ، ينقلون إليها الجيتو اليهودى ، حيث يستطيعون ممارسة شعائرهم ومباشرة ثقافتهم دون خوف وبغير خفاء .وعضّد الفكرة أن اليهودية ، مع ظهور مبدأ الجنسية فى الدولة الوطنية ، صارت لليهود جنسية بقدر ما هى شريعة . ذلك أنهم خشوا أن يؤدى الاندماج الكامل فى المجتمعات غير اليهودية إلى أن تخفت شعائرهم وتذوب ثقافتهم ، فتواصلوا مع الناس فى كل مجتمع يعيشون فيه ، وخاصة من خلال التجارة والاقتصاد ، لكن كل فرد منهم ظل يحمل الجيتو فى داخله ، ويطوى عليه فكره ومشاعره ، وبذلك صارت له جنسيتين إحداهما اليهودية .

فى أخريات القرن التاسع عشر أنشأ الصحفى النمساوى تيودور هرتزل الحركة الصهيونية التى تستهدف إقامة دولة إسرائيل ، وعُقد أول مؤتمر لذلك فى مدينة (بازل فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧) بسويسرا ، حيث تقرر تكوين منظمات صهيونية فى البلاد التى يوجد فيها عدد كاف من اليهود ، وعملت الحركة بدأب وتواصل على تحقيق أهدافها ، دون ضجيج وبغير صخب وعلى الرغم من أن كثيرًا من زعماء الحركة لم يكونوا متدينين فإنهم أصروا على أن تقام الدولة فى فلسطين ، وتكون القدس (أورشليم) عاصمتها ، لما فى ذلك من معنى تاريخى وعاطفة دينية (أو جنسيّة) تستثير اليهود فى العالم أجمع ، وتدفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين ، أو المساعدة بالنفوذ والمال لتحقيق حلم أجدادهم وآبائهم فى العودة إلى أورشليم . ولأن قادة الحركة الصهيونية لم يكونوا متدينين تمامًا ، فإنهم استطاعوا تجاوز التفسير الحرفى للنص الدينى ، وقدموا تفسيرًا جديدًا ، فبينما كان التفسير

التقليدى يقوم على أن الرب لن يسمح لليهود بإقامة دولة لهم وإعادة بناء الهيكل المقدس إلا إذا التزموا كليّة أحكام الشريعة (وهى التلمود ، أى آراء الأحبار ، أى فقه الناس) فإن الصهيونية عكست التفسير وألحّت على أن إرادة اليهود ينبغى أن تعمل لكى تحقق إرادة الله ؛ وهو التفسير الذى تداعى حتى قال بن جوريون أحد مؤسسى دولة إسرائيل : إن جيش الدفاع الإسرائيلى هو الذى يفسّر التوراة . بذلك أصبح الواقع هو الذى يفسر النص الدينى بعد أن كان هذا النص هو الذى يقبض على الواقع .

فى الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا وفرنسا فى مأزق حقيقى أمام القوات الألمانية . وإذ استقرأ زعماء الصهيونية الواقع وتفهموا المستقبل فقد رأوا أن مفتاح الشرق الأوسط آنذاك هو فى يد بريطانيا ، ومن ثم فقد سعوا للاتفاق معها حتى أصدر بالفور وعده فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بتعاطف بريطانيا مع إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . ونتيجة لذلك فقد عمل النظام المصرفى العالمى — وهو تحت سيطرة اليهود — على ضرب المارك الألمانى فانهار ومن ثم انهار الاقتصاد الألمانى ، فانهزمت ألمانيا القيصرية بينما كانت منتصرة عسكريًّا على كل الجبهات . ولما قامت النازية بحكم ألمانيا تحت زعامة هتلر عمدت إلى الانتقام من اليهود جميعًا فاضطهدتهم بأسلوب لا إنسانى ، كما فعلت مع غيرهم من الألمان والفرنسيين والروس والبريطانيين .

غير أن الفظائع التى ارتكبت مع اليهود ، وإصرار النازى على ضرورة تصفية المسألة اليهودية ، ثبت فى الفكر العالمى وقائع اضطهاد النازى لليهود بالذات ، وعلى الرغم من أن الحركة الصهيونية بدأت قبل النازى بكثير (أواخر القرن ١٩) فإنها استثمرت هذا الاضطهاد ليكون عونًا أدبيًّا لإنشاء دولة إسرائيل حيث لا يكون ثم اضطهاد لليهود .

إثر وعد بالفور ، ومنذ النصف الأول من العشرينيات بدأت الهجرة اليهودية تتكثف إلى فلسطين ، وأنشئت فرق عسكرية للمساعدة فى إنشاء الدولة ، هى الهاجاناه (جيش الدفاع) وشيترن (ليهى) وأرجون زفاى ليومى (إيزل أو المنظمة الوطنية العسكرية) ، وقامت بعض هذه الفرق بأعمال إرهابية جرحت مشاعر العرب بعنف وأغضبتهم بشدة . وصدر قرار الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم أرض فلسطين إلى دولتين : عبرية لليهود ، وعربية للفلسطينيين ، فقبل اليهود القرار وهم يضمرون نقضه ، بينما تصرف العرب بعفوية وانفعالية فرفضوا القرار ، وهم لا يملكون العناصر التى تمكنهم من هذا الرفض ، وبذلك بدوا أمام العالم أمة عدوانية ترفض قرار المجتمع الدولى وتأبى السلام . وعمل اليهود بدهاء على استدراج العرب إلى حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وهم غير مستعدين لها ، فهُزموا فيها جميعًا وكسبت إسرائيل كثيرًا ، بل وصارت بعد حرب ١٩٦٧ ، إسرائيل العظمى التى تحتل القدس (أورشليم) وتعمل على جعلها عاصمة لها ، فتُحقق بذلك حلم الأجداد ، وتُقدم تفسيرًا جديدًا للتوراة ، بفوّهات المدافع ودهاء السياسة بدلاً من تفاسير الأحبار والبكاء على الأطلال .

بهذا تحول الوعد التوراتى ليصبح واقعًا عسكريًّا ، يحقق حلمًا تاريخيًّا ليهودية ثقافية أكثر مما ينفذ حكمًا دينيًّا لإسرائيليين موحدى الجنس أو متحدى العنصر ، ومن ذلك يبين أنه لما تجاوز اليهود التفسير الحرفى للنصوص وأعرضوا عن الرأى الجامد للأحبار ، استطاعوا أن يحولوا الكلام إلى حقيقة ، وأن يحققوا الشريعة فى حضارة . وبالحقائق الواقعة والحضارة المتكاملة ، تحدّت إسرائيل العرب ، ومازال التحدى قائمًا ، وسوف يظل ،

إلى أن يأخذ العرب بأسباب الحضارة فيتبعوا المنهج العلمى ، ويحققوا المنطق العقلى ، ويؤكدوا النظـام الخلقى ، فيكونـوا أكفاء فى أى صراع حضارى .

تلك هى حال الأرض الموعودة فى التوراة ، فما هو شأن هذا الوعد فى القرآن الكريم ؟ ذلك هو الوجه الآخر من العملة ، أو الوضع المقابل فى الصراع الحضارى بين العرب وإسرائيل .

obeikandl.com